

## ciné - concert

«البارجة بوتمكن»:  
السر في المونتاج

«أيها البحّار لا تطلق النار على أخيك البحار». المعلم السوفياتي يدعو المسحوقين إلى الاتحاد ضدّ جلادهم، في عمل طبع تاريخ السينما بأسلوبه الفني المبتكر وخطابه السياسي. مساء اليوم يستعيد الجمهور اللبناني هذه الرائعة في افتتاح مهرجان «صور ثورية»، مع مرافقة حيّة للمؤلفة اللبنانية جويل خوري



## آيزنشتاين في بيروت، هيا إلى الثورة!

## يزن الاشقر

منذ ولادة الاتحاد السوفياتي، اتخذت الفنون منحى جديداً، وأصبحت السينما إحدى أهم الوسائل الفنية باعتبارها بسيطاً ممتازاً لنشر البروباغندا السياسية. وكان فلاديمير لينين من أوائل الذين وعوا أهمية الفن السابع في خدمة مبادئ الثورة البولشفية، ما أعطى زخماً فريداً لصناعة السينما السوفياتية. بسرعة صار هذا الفن جماهيرياً، وذا رسالة سياسية واضحة، وبات في خدمة العقيدة الاشتراكية حيث أنيطت به مهمة صناعة أساطيرها الجامعة. هذا الازدهار سبقته مرحلة أولى، قبل تدفق الدعم وتكوّن التقنيين والممثلين، شهدت إنتاج أفلام وثائقية وتعليمية ذات طبيعة «تثقيفية» حسب القوانين الجديدة للواقعية الاشتراكية.

هذا المنظور الجديد للسينما الروسية تطور بفضل المخرج والمنظر دزيغا فيرتوف في أفلامه الوثائقية،

وتوجّهه المضاد للدراما الخيالية الذي أدى لاحقاً إلى طرده من «استوديوهات سوفكينو». ثم جاءت الثورة السينمائية التي أطلقها المخرج الروسي سيرغي آيزنشتاين، وتتجلى في تحفته الصامته «البارجة بوتمكن» ( 1925) التي يشاهدها اليوم الجمهور البيروتي في نسخة مستحدثة، ومرافقة موسيقية حيّة للمؤلفة الشابة جويل خوري (راجع المقالة أدناه)، في افتتاح تظاهرة «صور ثورية». يُعدّ هذا الفيلم من العلامات الأساسية في تاريخ الفن السابع، بأسلوبه المبتكر في المونتاج حسب نظريات آيزنشتاين، وخطابه الثوري الداعي إلى تضامن المسحوقين والمستغلين والفقراء، وتوحدّهم في مواجهة جلادهم.

هذا الفيلم الذي غيّر وجه السينما إلى الأبد، يقوم على فكرة بسيطة. هدف آيزنشتاين كان كسب انتباه الجمهور وتعاطفه، ومحاولة بناء رابط عاطفي مع الفيلم وأبطاله، خدمة لمحتواه السياسي. ومثل معلمه

ليف كوليشوف، آمن آيزنشتاين بقوة المونتاج بوصفه «عصب السينما». هكذا، استنخاجاً من تجارب كوليشوف الشهيرة في المونتاج، نجح آيزنشتاين في حل «مشكلة السينما» كما وصفها، عبر التلاعب بعواطف المشاهد. آمن آيزنشتاين بالمونتاج، وعرض نظرياته بطريقة بناء المشاهد السينمائية المتوازية عبر تصادمها لتوليد الانفعالات، كما في مشهد شهير هو مذبحه «درج أوديسة».

وتطبيقاً لنظرياته في المونتاج، أخرج آيزنشتاين ثاني أعماله الطويلة «البارجة بوتمكن» الذي يعدّ إحدى أهم التحف السينمائية، وأهم فيلم بروباغاندا على الإطلاق. يبدأ الفيلم الذي تدور أحداثه سنة 1905 في ميناء أوديسة، باقتباس من «خطة معركة سان بطرسبورغ» للينين بجزئه الأول الذي حمل عنوان «رجال وديدان»، إذ يعلن بخاران ضرورة مساندتهما لإخوانهما العمال، وتستمر الحبكة في أجزاء الفيلم

الخمسة، باحتجاج البحارة على حساء مصنوع من اللحم الفاسد، إلى تمردهم على ضباط السفينة القيصريين... فالحداد الجماعي الذي يعلنه سكان أوديسة، ثم مشهد السلام وصولاً إلى الجزء الخامس والأخير من الفيلم.

في الجزء الرابع من الفيلم بعنوان «درج أوديسة»، تقع أحداث المذبحة في مشهد يُعدّ الأهم والمثال الأوضح

مذبحة «درج أوديسة»  
تمثّل ذروة درامية  
وفكرية وجمالية في  
الفيلم

على طريقة آيزنشتاين الثورية وقتها في المونتاج. بينما يتصاعد التوتر، يأخذ سكان الأوديسة في هبوط السلالم فيما يتحرك جنود القيصر بردائهم الأبيض خلفهم بطريقة منضمة. نستطيع رؤية لحظات الخوف والتوتر على أوجه الجموع في لقطات مقربة. يبدأ إطلاق النار، ويدبّ الذعر بالناس ويأخذون بالفرار والتساقط... يستخدم آيزنشتاين طريقته في المونتاج هنا بشكل بارز لاستدراار القدر الأكبر من عاطفة المشاهد. تركّض الأم مع طفلها الصغير نزولاً على الدرج، فيقطع المشهد على كتيبة الجنود يطلقون النار، ليقطع مرة أخرى لنرى الطفل يقع مصاباً من دون أن تلاحظ والدته. وتستمر المشاهد على هذا المنوال متنقلة بين بكاء الطفل، وذعر الأم، واندفاع الناس، وعودة إلى الأم حتى مأساة مقتلها ببرودة. بناء التوتر والتركب هذا هو نتيجة بناء المشاهد بطريقة المونتاج تلك، مشهداً فوق مشهد حتى بلوغ الذروة.

روسيا رديئة، إذ تشوبها أخطاء تدوين موسيقية، وفق ما تقول خوري التي أضافت أنها لم تعتمد عليها على نحو كلي. هكذا تؤدي عازفة البيانو 60% إلى 70% من هذا التوليف، مضيعة بعض محطات الارتجال وأعمال بيانو قصيرة من عند المؤلف المجري الشهير بيلا بارتوك (مقتطعات من عمله الضخم «ميكروكوسموس»). وبذلك، يكتمل الشريط الصوتي التي يطول مدّة الفيلم (70 دقيقة)، لتلتقي في افتتاح مهرجان «صورة ثورية» صورة آيزنشتاين بتوليف مايزل وارتجال خوري وتأليف بارتوك.

8:00 مساء اليوم – متروبوليس أمبير صوفيل، (الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 01/204080



## جويل خوري على متن «البارجة»

## بشير صفيّر

مجدداً، ستكون بيروت مساء اليوم على موعدٍ مع حلقة جديدة في سلسلة الـ Ciné-Concert التي تشهدها بيروت. بعد مواعيد عدّة، يعود آخرها إلى الشهر الماضي، حين رافقت فرقة Munma اللبنانية الفيلم الصامت «عبادة الدكتور كالبيغاري»، تقدّم المؤلفة اللبنانية وعازفة البيانو جويل خوري تجربتها في هذا المجال. هذا المساء، تستضيف صالة «متروبوليس أمبير صوفيل» ضمن تظاهرة «صور ثورية» (راجع «الأخبار»، 6/ 11/ 2010)، حدثاً سينمائياً

الموسيقياً، يجمع فيلم «البارجة بوتمكن» للسوفياتي سيرغي آيزنشتاين، وموسيقى جويل خوري في عزف حيّ على البيانو. عندما أنجز آيزنشتاين رائعته، سلك الآلية المعتمدة آنذاك في مسألة الموسيقى التصويرية. لكن في عام 1925، لم يكن سيرغي بروكوفيف، المؤلف الذي ارتبط اسمه بالمخرج الكبير، قد عاد إلى روسيا (1932) التي تركها مع اندلاع الثورة البولشفية (1917). بروكوفيف كتب لاحقاً موسيقى «الكسندر نيفسكي» و«إيفان الرهيب»، لكن واضح أول موسيقى لـ «البارجة بوتمكن» هو إدموند مايزل، المؤلف المغمور الذي لم تعرّف أعماله شهرة تذكر، ومن بينها شريط هذا الفيلم.

كثيرون أوحث لهم مشاهد الفيلم

السوفياتي تصوراً صوتياً/ موسيقياً، طال الجاز والموسيقى الكلاسيكية والإلكترونية وغيرها. أشهرها للفرقة البريطانية Pet Shop Boys التي وضعت في عام 2004 شريطاً فيه موسيقى إلكترونية وأوركسترالية وأغنيات. كذلك اختيرت موسيقى لمؤلفين مرموقين (أبرزهم شوستاكوفيتش)، رافقت إصدارات لاحقة للفيلم، لكنها لم تكتب خصوصاً له.

كيف عملت جويل خوري على إنجاز شريطها الخاص؟ لقد وفر معهد «غوته» في بيروت للمؤلفة اللبنانية نسخة عن المدونة الموسيقية الأصلية التي وضعها إدموند مايزل... لكن بتوليف للبيانو فقط (بدل الأوركسترا). غير أن المدونة التي استقدّمت من